Pre-Islamic Poetry As A Hermeneutic Tool In Qur'anic Exegesis: The Questions Of Nafi Ibn Al-Azraq As A Model

الشعر الجاهلي كأداة هرمينوطيقية في التفسير القرآني: مسائل نافع بن الأزرق أنموذجا

Received 2025-06-16
Accepted 2026-09-19
Published 2026-03-19

Mustafa Kadad[1], Mehmet Çetinkaya[2], Nesim Aytepe[3], Mehmet Ata Deniz[4]
[1,2,3,4]Faculty of Theology, University of Mardin Artuklu, Türkiye
mustafakadad@artuklu.edu.tr[1], mehmetcetinkaya@artuklu.edu.tr[2], nesimaytepe@artuklu.edu.tr[3], mehmetatadeniz@artuklu.edu.tr[4]

To cite this article: Kadad, Mustafa., Çetinkaya, Mehmet., Aytepe, Nesim., Deniz, Ata Deniz. (2026). Pre-Islamic Poetry As A Hermeneutic Tool In Qur'anic Exegesis: The Questions Of Nafi Ibn Al-Azraq As A Model. Ijaz Arabi: Journal of Arabic Learning, 9 (2), 598-609, DOI: https://doi.org/10.18860 /ijazarabi.V9i2.41222

Abstract

This research addressing a central problematic in exegetical studies and philology: How did the literary heritage of a polytheistic milieu evolve into an indispensable hermeneutical tool for decoding the sacred monotheistic text? The study engages with this dialectical relationship, grounding its argument in the hypothesis that while Islam enacted a decisive doctrinal rupture with the Jahiliyyah, it did not institute a linguistic one; rather, it assimilated the prevailing linguistic system and semantically re-engineered it to serve the imperatives of Tawhid (monotheism). Employing a descriptive-analytical methodology, the paper examines applied models from Gharib al-Qur'an (obscure Quranic vocabulary), with a specific focus on the "Questions of Nafi' ibn al-Azraq" as a foundational historical document that legitimized the citation of poetic evidence (Istishhad) in exegesis. The study argues that the reliance of Abdullah ibn Abbas—the preeminent exegete—on poetry authored by polytheists or People of the Book (such as Umayya ibn Abi al-Salt) to elucidate Quranic lexicon constitutes an implicit acknowledgment that Arabic is a cumulative civilizational vessel. It posits that Quranic terminology did not emerge ex nihilo, but represents an extension of Semitic roots deeply embedded in the history of religions within the Arabian Peninsula. Furthermore, the research analyzes the phenomenon of "semantic shift" (resemantization), demonstrating how the Quran utilized identical pre-Islamic terms—such as Salah, Zakah, and Taqwa—yet divested them of their archaic content to recharge them with novel doctrinal payloads. This process renders the recourse to pre-Islamic poetry a hermeneutic necessity, not merely to ascertain legal definitions, but to trace the historical evolution of terminology and to appreciate the Quranic genius in transposing language from the sensory, material connotations prevalent in poetry to abstract, spiritual significations. The study concludes that pre-Islamic poetry functions not merely as the "Diwan of the Arabs" preserving tribal glories, but as the essential "Lexical Archive" of the Revelation. Consequently, the contemporary exegete requires the integrative tools of comparative philology and literary criticism, alongside traditional narration, to fully grasp the multi-dimensional nature of Quranic eloquence.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

Keywords: Nafi' Ibn Al-Azraq; Pre-Islamic Poetry; Quranic Exegesis; Ibn Abbas; Philology; Hermeneutics; Gharib; Quran; Semantic Shift

المقدمة

لم يكن نزول القرآن الكريم بلسانٍ عربيٍ مبين مجرد حدثٍ إلهي منعزل عن السياق الثقافي والأنثروبولوجي للجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، بل كان، في جوهره، اشتباكاً جدلياً باذخاً مع ذروة ما أنتجته القريحة العربية من بيان؛ إذ تَنَزَّل الوحي في لحظة تاريخية كانت فيها "الكلمة" هي الرأسمال الرمزي الأوحد للعرب، وكان الشعر هو المؤسسة الاجتماعية والسياسية والإعلامية المهيمنة التي تحفظ تاريخ القبيلة وتصون هويتها وتُرسخ قيمها. وفي هذا السياق المعقد، يبرز النص القرآني لا بوصفه قطيعةً لغوية مع الماضي الجاهلي، بل بوصفه إعادة هندسة جذرية للنظام اللغوي القائم، حيث استوعب المفردات المتداولة في البيئة الوثنية، وأعاد صهرها في بوتقة التوحيد، مفرغاً إياها من حمولاتها الأسطورية والمادية، وشاحناً إياها بدلالات غيبية وأخلاقية متعالية لم يعهدها العقل العربي من قبل.

وتأسيساً على هذه "الاستمرارية اللغوية" رغم "القطيعة العقدية"، تنبثق الإشكالية المعرفية التي تعالجها هذه الدراسة، والمتمثلة في التساؤل عن مشروعية وحدود استخدام "الشعر الجاهلي" - الذي وصف القرآن أصحابه بالغواية والهيام في كل وادٍ- كأداة هرمينوطيقية (تفسيرية) حتمية لفك شفرات النص المقدس؛ وهي إشكالية لا تلبث أن تتلاشى أمام الحقيقة الفيلولوجية التي أدركها الرعيل الأول من المفسرين، وعلى رأسهم حبر الأمة عبد الله بن عباس، والتي تقرر أن اللغة كائن تاريخي تراكمي، وأن المفتاح لفهم "غريب القرآن" يكمن مدفوناً في طبقات الذاكرة الشعرية التي سبقت التنزيل، تلك الذاكرة التي حفظت الجذور السامية القديمة والمشترك اللفظي الذي شكل الجسر الدلالي بين الأرض والسماء.

إن العودة إلى "ديوان العرب" - وفق المقاربة التي تتبناها هذه الورقة- ليست مجرد استدعاء لشواهد نحوية أو بلاغية لتبرير وجه إعرابي، بل هي عملية "حفر معرفي" تهدف إلى استنطاق السياق التداولي للكلمة قبل أن تتلبس بقداسة الوحي، وذلك لفهم كيف تحولت ألفاظٌ كانت تصف طقوساً وثنية أو عادات قبلية صرفة إلى مصطلحات تأسيسية في العقيدة والشريعة الإسلامية، مما يجعل من الشعر الجاهلي، بمفارقة لافتة، الحارس الأمين للمعجم القرآني، والوثيقة التاريخية التي لا غنى عنها لأي مقاربة تفسيرية تطمح لتجاوز السطح الدلالي إلى العمق المقاصدي للخطاب الإلهي.

يمكن تصنيف الأدبيات التي تناولت هذا الموضوع إلى مسارين؛المسار التراثي: يمثله كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة (ت ٢٠٩هـ)، و(تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، و(الإتقان) للسيوطي. تميزت هذه الدراسات بالجمع والتدوين، لكنها غلبت الجانب "النقلِي" على الجانب

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

"التحليلي التاريخي". المسار الحداثي والاستشراقي: يمثله طه حسين في (في الشعر الجاهلي) الذي شكك في موثوقية الشعر نفسه كوثيقة تاريخية، وآرثر جيفري في (المفردات الأجنبية في القرآن). موقع الدراسة الحالية: تسعى هذه الدراسة لسد الفجوة البحثية عبر تجاوز الشك الديكارتي لطه حسين، وتجاوز الرد التقليدي، لتقدم قراءة وظيفية ترى في الشعر الجاهلي أرشيفاً لغوياً ضرورياً، بغض النظر عن الجدل حول انتحال بعضه، مركزة على بنية الكلمة وجذرها السامي.

تتمحور إشكالية البحث حول المفارقة المعرفية الكامنة في العلاقة بين "النص القرآني المقدس" و"الشعر الجاهلي الدنيوي". فإذا كان القرآن قد نزل ليصحح عقائد الجاهلية ويقطع مع منظومتها الفكرية، فكيف جاز للمفسرين الأوائل اعتماد "المدونة الشعرية" لتلك الحقبة كمرجعية حاكمة لفك مغالق الألفاظ القرآنية؟ وتتفرع عن هذه الإشكالية قضية "الموثوقية اللغوية"؛ فهل يمثل الشعر الجاهلي - بما فيه من حمولات وثنية وأساطير- سياقاً تفسيرياً آمناً للنص التوحيدي، أم أن هناك عملية "انتقاء وتبيئة " قام بها العقل الإسلامي الأول لفصل اللفظ عن سياقه العقدي القديم؟ تهدف هذه الورقة إلى الكشف عن الجذور التاريخية لمنهج الاستشهاد بالشعر في التفسير، وتبيان مشروعيته عند السلف (ابن عباس نموذجاً)، تفكيك عينات مختارة من "غريب القرآن" لإظهار الدور الوظيفي للشعر في توضيح المعنى، رصد التطور الدلالي للمفردات الدينية عبر تتبع مسارها في تاريخ الأديان واللغة العربية القديمة.

منهجية البحث

تعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في عرض المسائل اللغوية، مع الاستعانة بآليات المنهج المقارن عند تتبع الجذور السامية للمفردات، والمنهج التاريخي في تتبع تطور دلالة الألفاظ. تسلط الضوء هذه الدراسة على موضوعات محددة ضمن التراث الإسلامي، مثل نماذج تطبيقية من "غريب القرآن" و" وسائل نافع بن الأزرق" والشعر الجاهلي بالإضافة إلى المصطلحات القرآنية للوقوف على التطور الدلالي الحاصل. بما أن البحث في حقل التفسير واللغة عموماُ فهو يعتمد على اختيار البيانات نوعياً وتشمل تقنياته الضمنية ما يلي:

١. التأصيل التاريخي: من خلال الحوارات الكلاسيكية وتحديدا الحاصلة بين عبد الله بن عباس ونافع بن الأزرق لجعلها ميدان الاستشهاد التاريخي مع الشعر .
٢. الجمع المعجمي : من أجل المقارنة الدلالية بين معاني الالفاظ في الشعر الجاهلي وفي القرآن الكريم.

مناهج تحليل البيانات المنهج الوصفي التحليلي وهو الإطار الأساسي والأشمل المستخدم لوصف السياق التاريخي للنصوص وتحليل العلاقة الجدلية بين الشعر الجاهلي والنص الإسلامي.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

المنهج المقارن: ونستخدمه كأداة تكاملية لتتبع المفردة وردها إلى أصلها ثم معرفة التحول الحاصل في دلالتها.

نتائج البحث ومناقشتها

التأصيل الإبستمولوجي للمرجعية الشعرية: "مسائل ابن الأزرق" كوثيقة لغوية تاريخية

يُعدُّ اللجوء إلى الشاهد الشعري في تفسير النص القرآني لحظةً فارقةً في تاريخ "علم المعنى"عند المسلمين. هذه الممارسة لم تكن مجرد إجراء عفوي، بل كانت تأسيساً لمنهجية علمية صارمة تربط "النص المقدس" بـ "السياق اللغوي والاجتماعي" الذي نزل فيه. ولعل الوثيقة الأكثر أهمية في هذا السياق هي ما عُرف تاريخياً بـ "مسائل نافع بن الأزرق"، التي تمثل المناظرة التأسيسية بين "العقل الفقهي اللغوي" ممثلاً بحبر الأمة عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ)، وبين "العقل الظاهري الحرفي" ممثلاً بنافع بن الأزرق (زعيم الخوارج الأزارقة). يناقش هذا المبحث أبعاد هذه المناظرة، مستعرضاً نماذج تطبيقية تثبت كيف تحول الشعر الجاهلي من مدونة أدبية إلى أصل تفسيري.

١. السياق التاريخي والمعرفي للمناظرة

وقعت المناظرة في فناء الكعبة، وهو حيز مكاني له دلالته الرمزية، بين ابن عباس الذي يمثل الامتداد النبوي ونافع بن الأزرق الذي يمثل القطيعة مع السياق. عندما جاء نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر إلى ابن عباس، قال له نافع: " إنا لنسألك عن أشياء من كتاب الله، ففسرها لنا من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين". وكان كلما فسّر له ابن عباس مفردة، قال له نافع : " وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ " أو "وهل كانت العرب تعرف ذلك قبل أن ينزل الكتاب؟" فيجيبه ابن عباس بالشاهد الشعري (Al-Suyuti, 1974, Vol. 2, p. 55) وقد جاءت إجابات ابن عباس لتؤكد القاعدة الإبستمولوجية : " الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه" (Al-Suyuti, 1974, Vol. 2, p. 67).

٢. النماذج التطبيقية :قراءة فيلولوجية

وسنعرض فيما يلي عينات من المسائل، لنلاحظ من خلالها كيف يفكك الشعر "شفرة" الكلمة القرآنية ويعيدها لجذرها السامي أو استخدامها التداولي:

أولاً: لفظة (الكَنُود)

تتجلى دقة المعالجة اللغوية عند ابن عباس في تفسيره للفظة (الكَنُود) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]؛ إذ استوقفت هذه المفردة -التي تشير المصادر إلى أصولها اليمانية (من كندة)- نافع بن الأزرق، فسأل عن كُنه دلالتها. فما كان من ابن عباس إلا أن نقل الكلمة من

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

دلالتها "النفسية المجردة" إلى "دلالة سلوكية" محسوسة، مُعرفاً الكنود بأنه "الكفور الذي يأكل وحده، ويمنع رفده، ويجفو عبده" (وفي رواية: الذي يعد المصائب وينسى النعم). ولتثبيت هذا المعنى السلوكي في الذهنية السائلة، كما وردت في مسائل ابن الأزرق: " قال :يا ابن عباس: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ، قال: الكفور النعم: وهو الذي يكفر وجده، ويمنع رفده، ويجيع عبده. قال :وهل تعرف العرب ذلك؟ قال :نعم، أما سمعت الشاعر وهو يقول: شكرت له يوم العكاظ نواله ... ولم أك للمعروف ثمّ كنودا، وهذا الاستشهاد يبرهن على أن الوصف القرآني لم يبتدع صفة غريبة، بل لمس طبعاً بشرياً ذمته العرب في أخلاقها، موظفاً المخزون اللغوي لتعرية النفس البشرية الجاحدة (Ibn Abbas, 1993, p. 66)

ثانياً: لفظة (الْكَبَد)

كما يتضح البعد الفلسفي والوجودي في تفسير لفظة (الْكَبَد) في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، حيث سأل نافع عن طبيعة هذا "الكبد". فأجابه ابن عباس بأنها "الشدة والنصب" التي تلازم الإنسان منذ انتصابه في بطن أمه وحتى مماته. ولربط هذه المعاناة الوجودية بالواقع العربي، أنشده قول الشاعر لبيد بن ربيعة يصف موقف خصومةٍ ومشقة:

يَا عَيْنُ هَلَّا بَكَيْتِ أَرْبَدَ إِذْ ... قُمْنَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَبَدِ ، إذ يقوم الشعر هنا بوظيفة الأنسنة للمعنى القرآني؛ فلفظة "كبد" (من مكابدة الأمر) ليست مفهوماً مجرداً، بل هي توصيف دقيق لحالة العناء والمشقة التي يعيشها العربي في صراعاته اليومية، وهو ما يؤكد واقعية الرؤية القرآنية لطبيعة الحياة الدنيا (Ibn Abbas, 1993, p. 74)

ثالثاً: لفظة (الْحَفَدَة)

وفي دائرة العلاقات الاجتماعية، برز السؤال عن معنى (الْحَفَدَة) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]؛ وهل هم الأحفاد بالنسب أم الخدم؟ وقد وسّع ابن عباس الدلالة استناداً إلى أصل الاشتقاق اللغوي "حَفَدَ" (أي أسرع في الخدمة)، مفسراً إياهم بأنهم "الأعوان والخدم" أو "بنو البنين" الذين يخدمون آباءهم. واستدل على هذا المعنى الحركي بقول الشاعر: حَفَدَ الْوَلَائِدُ حَوْلَهُنَّ وَأُسْلِمَتْ ... بِأَكُفِّهِنَّ أَزِمَّةُ الْأَجْمَالِ،

فالشاهد الشعري يوثق المعنى الوظيفي للكلمة (السرعة في الطاعة والخدمة)، مما يجعل الآية ممتنةً بنعمة "المعين والخادم" أياً كانت صلة قرابته، وهو توسيع دلالي لا يمكن ضبطه إلا بالرجوع إلى استعمالات العرب الأولى . (Ibn Abbas, 1993, p. 39)

رابعاً: لفظة (أَثَاثاً)

كما نجد التوظيف الدقيق للدلالة المادية في لفظة (أَثَاثاً) في قوله تعالى: ﴿أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]. فقد سأل نافع عن حدود هذا "الأثاث"، فأجابه ابن عباس بشمولية تخرج اللفظة

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

من حصرها المعاصر (فرش المنزل) إلى سعتها القديمة التي تعني "المال أجمع" من إبل وغنم وعبيد ومتاع. فقد سأل نافع فقال يا ابن عباس: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: (أَثاثاً وَرِءْياً)، قال: الأثاث: المتاع، والري: من الشراب. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال :نعم، أما سمعت الشاعر (محمد بن نمير الثقفي) وهو يقول: كأنّ على الحمول غداة ولّوا ... من الرّئي الكريم من الأثاث. حيث يعيد الشعر للكلمة زخمها الاقتصادي والاجتماعي، مبيناً أن الامتنان القرآني يشمل كل ما يقتنيه الإنسان ويتجمل به، وليس مجرد متاع البيت البسيط، مما يظهر بلاغة النص في استيعاب تفاصيل الحياة المعيشية للعرب (Ibn Abbas, 1993, p. 90)

خامساً: لفظة (دِهَاقاً)

وفي سياق التصوير الحسي لنعيم الجنة، استوقفت نافعَ بن الأزرق لفظةُ (دِهَاقاً) في قوله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ: ٣٤]، مستفسراً عن دلالتها الدقيقة. فأجابه ابن عباس بأن معناها "الخمر" و"الملآن". ولتأصيل هذه اللفظة في اللسان العربي، استشهد ببيتٍ للشاعر خَدَّاج بن زُهَيْر)وفي رواية: ابن أخت أمية بن أبي الصلت) يصف كرماً باذخاً: أتانا عامر يرجو قرانا ... فأترعنا له كأسا دهاقا. يمثل هذا الشاهد "مرجعية معجمية" تحسم المعنى؛ فالفعل "دَهَقَ" في اللغة يحمل معنى الشدة والضغط (ومن ذلك: أدهق الحجرُ الكأسَ أي ملأها حتى فاضت)، واستدعاء الشعر هنا ينقل اللفظة من مجرد "الوصف العابر" للكأس إلى صورة حية تعبر عن "الامتلاء الأقصى" الذي يرمز للوفرة والترف، مما يؤكد دقة اختيار المفردة القرآنية لتناسب مشهد النعيم المطلق (Ibn Abbas, 1993, p. 70-71)

سلطة اللغة على التفسير

إن المتأمل في تحليل هذه النماذج التطبيقية يخلص إلى نتيجة مفادها أن استدعاء ابن عباس للشاهد الشعري لم يكن محض ترفٍ أدبي أو استظهارٍ للمحفوظ، بل كان يمثل ضرورةً "منهجيةً" صارمة تتوخى تحقيق غرضين متلازمين: أولهما إقامة "حجية النص" بإثبات أن القرآن نزل بلسانٍ عربيٍ مبين خالٍ من الألغاز والألفاظ الغريبة، متحدياً العرب في صميم نظامهم اللغوي الذي يفاخرون به، وثانيهما ممارسة "الضبط الدلالي" الذي يقطع الطريق على التأويلات الباطنية المنفلتة؛ حيث تغدو اللغة الشعرية بمثابة السياج الحامي للمعنى من الشطط والانزلاق وراء الأهواء. وهذا المنهج، في جوهره، يؤصل لنظرية "التناص" ضمن إطارها الإسلامي؛ إذ يتقاطع النص القرآني مع النص الشعري في الحيز "المعجمي" والألفاظ المجردة، لكنه يفارقه جذرياً في "المقصد والتركيب"، مُعيداً توجيه الدلالة وتساميها من سياقها الأرضي المادي- كوصف الخيل والترحال والطلل- إلى سياقها السماوي المتعالي المرتبط بحقائق القيامة والحساب والجزاء.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

الجذور السامية وظاهرة التعريب: الشعر كوثيقة للتلاقح الحضاري

إذا كانت وظيفة الشاهد الشعري في المبحث السابق قد انحصرت في استدعاء الدلالة المنسية للمفردة العربية القحة، فإن وظيفته الهرمينوطيقية (التأويلية) في هذا المبحث تتسامى لتلعب دور "وثيقة التجنيس اللغوي "التي تمنح الشرعية للألفاظ الوافدة؛ إذ يجد المفسر نفسه أمام إشكالية إبستمولوجية دقيقة تتمثل في التوفيق بين التوصيف الذاتي للقرآن بأنه ﴿عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ وبين احتوائه على معجمٍ ثريٍ من الألفاظ ذات الجذور الأعجمية (المُعَرَّب) التي تسللت إليه من الحضارات الفارسية والرومية والحبشية.

وهنا، لا يعود الشعر الجاهلي مجرد قاموسٍ لفك المعاني، بل يتحول إلى سجلٍ تاريخيٍ حاكم يثبت أن هذه الألفاظ لم تكن دخيلةً أو مستهجنةً لحظة التنزيل، بل كانت قد خضعت لعملية اندماج طويلة، وصهرتها ألسنة الشعراء في قوالبها الوزنية، حتى باتت جزءاً لا يتجزأ من النسق اللغوي العربي المستقر؛ فاستدعاء ابن عباس لبيتٍ من الشعر الجاهلي يحتوي على لفظةٍ مثل "قسطاس" أو "مشكاة" ليس هدفه تحديد المعنى فحسب، بل هدفه الأعمق هو إقامة الحجة على أن العربية لغةٌ حضاريةٌ منفتحة، تمتلك القدرة الهائلة على تعريب الوافد وهضمه، مما يجعل الشعر الأداة الوحيدة القادرة على ضبط "المجال الدلالي" للكلمة كما فهمها العربي، لا كما هي في لغتها الأم، مخرجاً إياها من عجمة الأصل إلى فصاحة الاستعمال.

وسنحاول أن نعرض بعض الأمثلة في هذا السياق:

١. لفظة (مَثْبُوراً)

في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]، استوقفت هذه اللفظة نافع بن الأزرق لغرابتها، فسأل: "ما مثبوراً؟". أجاب ابن عباس بدقة معجمية تربط اللفظ بجذوره السامية (العبرية/الآرامية التي تعني الكسر والهلاك): "ملعوناً، ومحبوساً عن الخير".

ولإثبات عروبة الاستعمال، استدعى بيت الشاعر الجاهلي عبد الله بن الزِّبَعْرَى (قبل إسلامه): (إِذَا جَارَ شَيْطَانٌ بِسَنَةِ نَوْمِهِ ... وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ) وفي رواية: (إذ أتاني الشّيطان في سنة النّو ... م ومن مال ميله مثبورا) هنا يمارس الشعر دوره "التوثيقي"؛ فيثبت أن مصطلح "الثبور" لم يكن غريباً على عرب مكة، بل استخدموه للتعبير عن "الهلاك الوجودي" والخسارة المطلقة، مما يشرعن استخدامه القرآني في سياق تقريع فرعون. (Ibn Abbas, 1993, p. 38) (Al-Suyuti, 1974, Vol. 2, p. 80)

٢. لفظة (عِزِينَ)

تعد لفظة (عِزِين) في قوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: ٣٧] من المفردات التي أثارت إشكالاً دلالياً واشتقاقياً (هل هي عربية من العزو؟ أم ذات جذر آرامي؟).

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

حين سأل نافع عنها، أجاب ابن عباس: "عزين: حِلَق الرفاق" (أي الجماعات المتفرقة). ولتأصيلها، استشهد بقول الشاعر **عُبَيْد بن الأبرص** (وهو من فحول الجاهلية): (فَجَاءُوا يُهْرَعُونَ وَهُمْ عِزِينَ ... كَأَنَّ بِهِمْ مِنَ الْحَدَثَانِ طِيرَا) وفي رواية: (يهرعون إليه حتى... يكونوا حول منبره عزينا) ، يكشف هذا الشاهد أن العرب استخدموا هذه الصيغة لوصف "التشرذم" أو التجمع غير المنتظم، وهو ما يخدم الصورة القرآنية للمكذبين الذين يحيطون بالنبي ﷺ متفرقين لا يجمعهم هدف واحد إلا الاستهزاء (Al-Tabari, 2000, Vol. 23, p. 607)، (Ibn Abbas, 1993, p. 28).

٣. لفظة (حَنِيفاً)

وفي سؤال نافع عن قوله تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: ١٦١]، نلمس بوضوح "تاريخ الأديان". فكلمة حنيف لها جذور سريانية (*Hanpa*) كانت تعني "الوثني" أو "الخارج عن دين الكنيسة"، لكنها في العربية خضعت لـ "انزياح دلالي مذهل لتصبح رمزاً للتوحيد الخالص. فسرها ابن عباس بقوله: "الحنيف: المائل عن الأديان كلها إلى الإسلام". "قال :يا ابن عباس: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: لِلدِّينِ حَنِيفاً، قال :دينا مخلصا. قال :وهل تعرف العرب ذلك؟ قال :نعم، أما سمعت حمزة بن عبد المطلب وهو يقول: حمدت الله حين هدى فؤادي ... إلى الإسلام والدّين الحنيف ، وقال أيضا رجل يذكر بني عبد المطلب وفضلهم: أقيموا لنا دينا حنيفا فأنتم ... لنا غاية قد يهتدي بالذوائب" (Ibn Abbas, 1993, p. 141) يؤكد الشعر هنا أن المصطلح كان متداولاً لدى العرب قبل الإسلام للتعبير عن البحث عن الحقيقة، فجاء القرآن ليكرسه علماً على ملة إبراهيم (Al-Suyuti, 1974, Vol. 2, p. 65)

٤. لفظة (الزَّنِيم)

في سياق الذم القرآني للأخلاق الوضيعة في سورة القلم: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣]، استشكل نافع بن الأزرق دلالة (الزَّنِيم)؛ فهل هي صفة خلقية أم نَسَبية؟ أجاب ابن عباس بوضوح اجتماعي حاد: "هو الدعيّ الملصق بالقوم وليس منهم" (أي الدخيل في النسب). ولتأصيل هذه اللفظة، استشهد ببيتٍ للشاعر (هو الخطيم التميمي) يهجو فيه قوماً: زنيم تداعته الرّجال زيادة ... كما زيد في عرض الأديم الأكارع،(Ibn Abbas, 1993, p. 96) . يكتسب هذا الشاهد أهمية اجتماعية، إذ يثبت أن القرآن استخدم مصطلحات "التراتبية القبلية" الجاهلية التي تعلي من شأن الصريح وتحتقر الدخيل، ولكنه أعاد توظيفها في سياق أخلاقي، جاعلاً "الزَّنَمة" (الدخالة) ليست في الدم، بل في السلوك المعوج، وهو ما يوضح كيف يُعيد النص القرآني تشكيل المفاهيم الاجتماعية السائدة لخدمة الرؤية العقائدية الجديدة (Al-Suyuti, 1974, Vol. 2, p. 89)

٥. لفظة (المُهْل)

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٨]، سأل نافع عن (المُهْل)، وهي لفظة مادية دقيقة. أجاب ابن عباس بـ "التجسيد الحسي": "هو خاثر الزيت" (أو ما أذيب من النحاس والرصاص). ثم استدعى الشاهد الشعري ليقرب الصورة الذهنية: تبارى بنا العيس السموم كأنّها ... تبطّنت الأقراب من عرق مهلا. (Ibn Abbas, 1993, p. 180) تبرز هنا وظيفة الشعر في "التوثيق المادي"؛ فكلمة (المُهْل) ليست مجرد استعارة، بل هي مصطلح حرفي دقيق كان يستخدمه العرب لوصف عملية صهر المعادن أو ترسبات الزيت، واستحضار الشعر لهذا المعنى يمنح الصورة القرآنية لأهوال القيامة "واقعية فيزيائية" مرعبة وملموسة في الذهنية العربية (Al-Tabari, 2000, Vol. 23, p. 603)

أظهرت نتائج الدراسة التحليلية لمسائل نافع بن الأزرق أن الاستشهاد الشعري عند ابن عباس لم يكن مجرد آلية استرجاع معجمي لمفردات غامضة فحسب، بل كان عملية تثبيت دلالي ممنهجة؛ حيث توصلت النتائج إلى أن النص القرآني اعتمد على الحقول الدلالية الجاهلية كأرضية مشتركة للتخاطب، لكنه قام بإعادة توجيهها. وتجيب هذه النتيجة عن السؤال المركزي الذي طُرح في المقدمة حول كيفية تحول النص الشعري البشري إلى أداة لتفسير النص (المقدس الإلهي)؛ إذ تبيّن أن الشعر عمل كوثيقة تاريخية تمنح الشرعية اللغوية للفظ، مما يقطع الطريق على التأويلات الباطنية أو المزاجية التي كانت تهدد فهم النص في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الإسلام.

وفي سياق مناقشة هذه النتائج وتفسيرها علمياً، يمكن القول إن لجوء ابن عباس للشعر الجاهلي يجد تفسيره في نظرية السياق الاجتماعي للغة؛ فالقرآن لم ينزل لغةً مخبرية معزولة، بل نزل مشتبكاً مع الواقع اللغوي للعرب. وقد كشفت الدراسة أن المسائل مثلت أول تطبيق عملي لقاعدة الاحتجاج باللغة على الشرع، حيث يتم استخدام الشاهد القديم (الشعر) لفك شفرة النص الجديد (القرآن)، وهو ما يؤسس لقاعدة هرمينوطيقية مفادها أن فهم النص الإلهي المقدس مرهون باستيعاب النص اللغوي البشري الذي سبقه(Aytepe, 2021, s. 108).

وعند مقارنة هذه النتائج بما توصلت إليه الأدبيات السابقة، وتحديداً ما رصده الباحث الدكتور(مصطفى قداد، ٢٠٢٣) في دراسته حول منهج ابن قتيبة الدينوري ، نلمس بوضوح التطور الوظيفي لهذه الأداة عبر الزمن. فبينما أظهرت نتائجنا الحالية أن ابن عباس استخدم الشعر لأغراض تأسيسية وتعليمية لفك غريب الألفاظ وتثبيت عروبتها، أوضحت دراسة الباحث السابقة أن ابن قتيبة في القرن الثالث الهجري أعاد توظيف نفس الأداة (المخزون اللغوي والشعري) لأغراض دفاعية وجدلية لرد شبهات المتكلمين والمستشرقين حول مختلف الحديث و"مشكل القرآن، وهذا التباين يبرز أن منهجية المرجعية الشعرية لم تكن جامدة، بل تطورت من كونها مفتاحاً للمعنى في

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

مرحلة التأسيس عند ابن عباس، لتصبح ترساً للدفاع عن العقيدة في مرحلة التدوين عند ابن قتيبة، مع اشتراكهما في الأصل المنهجي الواحد وهو: الرجوع إلى الأصل اللغوي والاستشهاد له من كلام العرب. وعليه، فإن أهمية هذه النتائج تكمن في إثباتها أن العلاقة بين القرآن والشعر الجاهلي هي علاقة احتواء وتجاوز؛ فالقرآن احتوى المعجم الجاهلي ليضمن الفهم، لكنه تجاوزه دلالياً ليضمن الهداية، وكان الشعر هو الشاهد العدل على هذه العملية المزدوجة.

الخاتمة

تُظهر هذه الدراسة ضرورة تقييم علاقة القرآن بالجاهلية على خط "القطيعة العقدية - الاستمرارية اللغوية". فبينما قام القرآن بنقد التصورات الشركية وتحويلها، فإنه لم يهجر اللغة المستخدمة في ذات المحيط الثقافي هجراً كلياً، بل أعاد تنظيم الثروة اللفظية القائمة ضمن دلالات توحيدية. ويكشف هذا الوضع عن أن الاستشهاد بالشعر الجاهلي لم يكن مجرد "دعم لغوي" تقني فحسب، بل عمل كمنهجية تتيح تتبع المسار التاريخي للمفاهيم؛ ومن ثم، أصبح الشعر مجالاً بيانياً أساسياً يُستند إليه لتحديد استعمال الكلمة في مرحلة ما قبل الوحي، ولإظهار نوع المحتوى الجديد الذي أعاد القرآن تحميله لذات اللفظ. وقد أظهرت التطبيقات في أدبيات "غريب القرآن" -لا سيما من خلال فحص "مسائل نافع بن الأزرق" من منظور فيلولوجي، مع مراعاة حقيقة كونه زعيم فرقة الأزارقة من الخوارج- أن شرعنة الدليل الشعري قد تبلورت ضمن بيئة جدلية محددة. إن صيغة "السؤال والجواب" لم تُبرز شرح الألفاظ فحسب، بل جعلت النقاشات المتعلقة بتحديد أي الأدلة يُعتبر معتبراً، وبأي معايير يُستخدم، وكيفية تأسيس السلطة العلمية، نقاشاتٍ مرئيةً وجلية. ومن هذا الجانب، يبين النص أن التوترات المذهبية في المرحلة المبكرة لا يمكن تتبعها من خلال الانقسامات الاعتقادية فحسب، بل ومن خلال منهجية التأويل وتراتبية الأدلة أيضاً .أما ممارسة الاستشهاد المنسوبة لابن عباس، فهي تعزز فكرة أن اللغة العربية حامل ثقافي تراكمي؛ وتدعم كون الشعر يعمل كـ "أرشيف معجمي" يحفظ الطبقات التاريخية للغة التي نزل بها الوحي.

وختاماً، تخلص الدراسة إلى أن المصطلحات القرآنية لم تنشأ من العدم، بل تحمل علاقة استمرارية مع الميراث اللغوي السامي المتجذر في المتراكم الديني والثقافي الأوسع لشبه الجزيرة العربية. ولذلك، يجب تقييم "الاستشهاد" ليس فقط كعنصر مساعد لتعيين الأحكام أو المصطلحات، بل كمفتاح يتيح رصد التغير الدلالي وإعادة البناء المفاهيمي. وفي هذا الإطار، فإن الاستخدام المتضافر لمناهج الفيلولوجيا المقارنة، وتاريخ المذاهب، وتاريخ الأديان في الدراسات القرآنية المعاصرة، سيسهم في الكشف بشكل أكثر جلاءً عن كل من الخلفية التاريخية للغة القرآن وعمليات إعادة المعنى التوحيدية.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

قائمة المراجع

Abu Ubaydah, M. b. A. (1954). *Majaz al-Qur'an* [Metaphors of the Qur'an] (F. Sezgin, Ed.). Maktabat al-Khanji.

Al-Asfahani, R. (1992). *Al-Mufradat fi gharib al-Qur'an* [Vocabulary of the strange words in the Qur'an] (S. A. Dawoodi, Ed.). Dar al-Qalam. (Original work published 1412 AH).

Al-A'sha, M. b. Q. (1950). *Diwan al-A'sha al-kabir* [The great diwan of al-A'sha] (M. M. Hussein, Ed.). Maktabat al-Adab.

Al-Baqillani, M. b. T. (1997). *I'jaz al-Qur'an* [The inimitability of the Qur'an] (S. A. Saqr, Ed.). Dar al-Ma'arif.

Al-Farra', Y. b. Z. (1980). *Ma'ani al-Qur'an* [Meanings of the Qur'an] (A. Y. Najati & M. A. Al-Najjar, Eds.). Dar al-Kutub al-Misriyyah.

Al-Ghadami, A. (2005). *Al-Naqd al-thaqafi: Qira'ah fi al-ansaq al-thaqafiyah al-Arabiyah* [Cultural criticism: A reading of Arab cultural patterns]. Arab Cultural Center.

Al-Jawaliqi, M. b. A. (1990). *Al-Mu'arrab min al-kalam al-a'jami 'ala huruf al-mu'jam* [The arabized words from foreign speech arranged alphabetically] (A. M. Shakir, Ed.). Dar al-Kutub al-Misriyyah.

Al-Qurtubi, M. b. A. (2006). *Al-Jami' li-ahkam al-Qur'an* [The compendium of Qur'anic rulings] (A. A. Al-Turki, Ed.). Mu'assasat al-Risalah.

Al-Suyuti, J. A. (1974). *Al-Itqan fi 'ulum al-Qur'an* [The perfection in the sciences of the Qur'an] (M. A. Ibrahim, Ed.). Al-Hay'ah Al-Misriyyah Al-Ammah lil-Kitab.

Al-Suyuti, J. A. (1998). *Al-Muhadhdhab fima waqa'a fi al-Qur'an min al-mu'arrab* [The refined book on foreign words in the Qur'an] (T. S. Al-Jawhari, Ed.). Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

Al-Tabarani, S. b. A. (n.d.). *Al-Mu'jam al-kabir* [The great lexicon] (H. A. Al-Salafi, Ed.). Maktabat Ibn Taymiyyah.

Al-Tabari, M. b. J. (2000). *Jami' al-bayan 'an ta'wil ay al-Qur'an* [The comprehensive exposition of the interpretation of the verses of the Qur'an] (A. M. Shakir, Ed.). Mu'assasat al-Risalah.

Al-Zamakhshari, M. b. U. (1987). *Al-Kashshaf 'an haqa'iq ghawamid al-tanzil* [The revealer of the truths of the mysteries of revelation] (M. H. Ahmad, Ed.). Dar al-Kitab al-Arabi.

Al-Zarkashi, B. (1957). *Al-Burhan fi 'ulum al-Qur'an* [The proof in the sciences of the Qur'an] (M. A. Ibrahim, Ed.). Dar Ihya' al-Kutub al-Arabiyyah.

Anis, I. (1966). *Dilalat al-alfaz* [Semantics of words]. Maktabat al-Anglo al-Misriyyah.

Aytepe, N. (2021). Alexandria School and Its Effects On Islamic Thought. *Journal of Social Sciences of Mus Alparslan University*, 9(İDEKTA), 105-116.

Bint al-Shati', A. A. (1971). *Al-Tafsir al-bayani lil-Qur'an al-karim* [The rhetorical interpretation of the Holy Qur'an]. Dar al-Ma'arif.

Ibn Faris, A. (1979). *Mu'jam maqayis al-lughah* [Dictionary of linguistic standards] (A. S. Harun, Ed.). Dar al-Fikr.

Ibn Jinni, U. (1952). *Al-Khasa'is* [The characteristics] (M. A. Al-Najjar, Ed.). Dar al-Kutub al-Misriyyah.

Ibn Manzur, M. b. M. (1994). *Lisan al-Arab* [The tongue of the Arabs] (3rd ed.). Dar Sader.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

Ibn Qutaybah, A. b. M. (1928). *Tafsir gharib al-Qur'an* [Interpretation of the strange words in the Qur'an] (S. A. Saqr, Ed.). Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

Ibn Qutaybah, A. b. M. (1966). *Al-Shi'r wa-al-shu'ara'* [Poetry and poets] (A. M. Shakir, Ed.). Dar al-Ma'arif.

Izutsu, T. (1964). *God and man in the Qur'an: Semantics of the Qur'anic weltanschauung*. Keio Institute of Cultural and Linguistic Studies.

Izutsu, T. (1966). *Ethico-religious concepts in the Qur'an*. McGill University Press.

Jeffery, A. (1938). *The foreign vocabulary of the Qur'an*. Oriental Institute.

Kadad, Mustafa (2023). The utilization of Ibn Qutaybah's linguistic culture and the concept of "Gharib al-Hadith" in his book "Tawil Mukhtalif al-Hadith". *Rihan Journal for Scientific Publishing*, 36, 53-77.

Nöldeke, T. (2013). *The history of the Qur'ān* (W. H. Behn, Trans.). Brill. (Original work published 1860).

Ullmann, S. (1962). *Semantics: An introduction to the science of meaning*. Barnes & Noble.

Wafi, A. A. (1971). *Fiqh al-lughah* [Philology]. Nahdat Misr.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)